الهوية الافتراضية لدى الشباب الجزائري دراسة في التمثلات

كرمية خديجة[1] د. سعيد سبعون[2]

1- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة علي لونيسي– البليدة2، khadidjakermia@gmail.com

2- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة علي لونيسي– البليدة2، saidsebaoun66@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/03/11 **تاريخ المراجعة:** 2019/11/11 **تاريخ القبول:** 2020/06/12

ملخص

تقوم هذه الدراسة ببحث إشكالية التمثلات الاجتماعية للهوية الافتراضية، حيث يُحدّد من خلالها الفاعل الاجتماعي نفسه وموقعه وجماعته، لكون هذه الأخيرة سيرورة ثقافية واجتماعية ورمزية تكون في بعض الأحيان مطابقة للواقع وفي أحيان كثيرة مزيفة ومستعارة، وذلك بفضل شبكات التواصل الاجتماعي التي أعطتها دلالات جديدة أوسع من الفضاءات المحلية، حيث نقلت الفرد من مستوى التلقي إلى مستوى التفاعل فأصبح يجسد هويته كيفما توفر له التقنية المستخدمة من إمكانيات التمثل.

الكلمات المفاتيح: تمثلات، مجتمعات افتراضية، هوية، هوية افتراضية.

L'identité virtuelle de la jeunesse algérienne: étude des représentations

Résumé

Nous abordons dans notre étude la problématique des représentations sociales de l'identité virtuelle, dans laquelle nous pouvons déterminer l'acteur social lui-même, son emplacement et son groupe. Cette dernière parfois identiques à la réalité et souvent fausse et métaphorique, grâce aux réseaux sociaux qui lui ont donné de nouvelles significations plus larges que les espaces locaux où elle a transféré l'individu du niveau de réception à celui d'interaction, ce qui lui a permis d'incarner son identité par le biais de la technologie utilisée qui lui a fourni les moyens de représentations.

Mots-clés: Représentations, communautés virtuelles, identité, identité virtuelle.

The Virtual Identity of Algerian Youth: A Study of representations

Abstract

In our study, we address the problem of social representations of virtual identity, in which we can determine the social actor himself, his location and his group. this latter seems sometimes identical to reality and often false and metaphoric, through social networks that gave it new meanings wider than local spaces, where the individual was transferred from the level of reception to the level of interaction, which allowed him to embody his identity through the use of technology that provided him the means of representation.

Keywords: Representations, virtual communities, identity, virtual identity

المؤلف المرسل: كرمية خديجة، khadidjakermia@gmail.com

مـقدمــة

عرف النصف الثاني من القرن العشرين تطورات وتحولات اجتماعية، أدت إلى تغييرات جذريـــة في نمـط حياة الشعوب وأثر على الهيكل الذي قامت عليه المكونات الاقتصادية والسياسية والنفسية، أبرزها التطور الحاصل في المجتمعات المعاصرة بفعل تكنولوجيات الاتصال الحديثة، التي أثرت في معظم أنشطتها، حيث اقتحمت وسائل الاتصال هذه كل مجالات الحياة، وأجبرتها على التعامل معها كواقع لابد منه، وعلى البحث في كيفية إدماجها في أنشطتها وأعمالها، في السنوات الأخيرة شهد العالم نوعًا من التواصل بين الأفراد في فضاء إلكتروني افتراضي، قرَب المسافات بين الشعوب وألغى الحدود، وأوجد نوعا جديدا من العلاقات أطلق عليها الباحثون مسميات متنوعة، منها "العلاقات الافتراضية "وهي العلاقات التي تأسست أو وجدت بفضل الثورة الحادثة في تقنيات الاتصال، تلك الثورة التي يعد الإنترنت أبرز ملامحها على الإطلاق، فقد غزت التقنيات الجديدة المنازل بسرعة مذهلة وأصبحت من الضروريات، حيث جمعت شبكة الانترنيت حولها ملايين المستخدمين في وقت وجيز، وتزايد الإقبال عليها يوما بعد يوم ويعود هذا الاهتمام الكبير بالشبكة إلى عدة عوامل من أهمها التفاعلية الكبيرة والمعلومات الغزيرة والأفكار المتنوعة، والنصائح والإرشادات حول مواضيع عديدة وإشباع رغبات متباينة.

تعد مواقع التواصل الاجتماعي أبرز ملامح الانترنيت، حيث ساهمت في إحداث تغيرات داخل بنية المجتمع وتوجهت إلى إنشاء نمط تواصل جديد يركز على التواصل التفاعلي في بيئة رقمية ميزتها أنها افتراضية تزول بزوال ارتباط الفرد بالانترنت أو بمجرد خروجه من موقع التواصل، إذن شكلت لنا عالمين متوازيين الأول: حقيقي يعيش فيه الفرد في بيئته التي وجد فيها واكتسب منها مؤهلات مكنته من تكوين هويته الاجتماعية، والثاني: الذي يعيشه في الفضاء الافتراضي مكنه هو الآخر من تكوين مجتمعه الافتراضي الذي يتوافق مع ما كان يطمح إليه أو مع تطلعاته التي لم يجدها في العالم الحقيقي، فكون له هوية افتراضية يتواصل ويتفاعل بها مع المشاركين في الاتصال، بغض النظر عن معطياتها التي قد تكون مطابقة لهويته الحقيقية أو متباعدة عنها، هذه التمثلات يمكن أن تتخذ أشكالا عديدة: اسم مستعار في منتدى، صورة أو صورة في رسالة فورية ... وتجمع المجتمعات الافتراضية على وجه الخصوص الأفراد المتشابهة والمتمثلة بهوية افتراضية، محددة بخصائص تبدو بعيدة على أن تترك للصدفة.

يجد مستخدمو الإنترنت الفرصة لاختبار مختلف التمثلات الذاتية على الانترنت بحيث يمكن للمستخدمين إعطاء العنان لخيالهم حول مظهر هويتهم الافتراضية وتقرير تجسيدها بأشكال متنوعة، بالإضافة إلى ذلك عدم الكشف عن هويته هو في قلب البيئات الافتراضية مثل فيسبوك، ماي سبايس، تويتر وغيرها من الشبكات الأخرى حيث يتم التواصل فقط عن طريق المراسلة الفورية (الدردشة)، ولا يمكن تحديد جنس الفرد أو سنه. بالإضافة إلى ذلك، فإن المعلومات الشخصية للمستخدمين هي غير متاحة لمستخدمي الإنترنت الآخرين، يظهر فقط ما يريده كل مستخدم أن يظهر عنه.

إن سياق التداول الافتراضي يجعل أطراف التواصل محل عملية تنشئة إلكترونية مستمرة بحكم أنها تتفاعل وتتواصل في فضاء ثقافي مفتوح يتجاوز الطابع المؤسساتي التقليدي الواضح الحدود والمعالم، فالهويات الافتراضية تتيح للأفراد حرية التعبير وإمكانية الاختيار بين عدة بدائل، وكذا إمكانية التفاعل في فضاء لا محدود يشبع تطلعات المستخدم للانطلاق والتنقل بين عالمين الافتراضي والواقعي، فاستخدام الهوية الافتراضية على

مستوى الشبكات الاجتماعية يبدو واضحا وجليا من خلال البيانات التي توجد على صفحات الأفراد الخاصة، وقد كانت لها انعكاساتها على حياة الفرد من خلال التقمص والانطواء والعزلة والحرية المطلقة في التعامل دون وجود حواجز تفرض عليهم وتعطيهم وجودا مغايرا لتبث عبر ذلك قيما وممارسات جديدة، حيث صار بإمكان الفرد استخدام أكثر من هوية غير هويته الحقيقية وذلك عن طريق تبني أسماء مستعارة وصور غير حقيقية إضافة إلى تغيير المعلومات الشخصية كالسن والجنس والمهنة... الخ، فأصبح هؤلاء المستخدمون الافتراضيون مجهولين في نظر الآخرين، بحيث يتلاعبون بهويتهم من خلال فتح أكثر من حساب بأسماء متعددة، خاصة إذا استثنينا جانب الرقابة الذي تتميز به هذه الشبكات الاجتماعية وهامش الحرية الكبير المتاح والمتوفر أمام هؤلاء المستخدمين.

ومن خلال هذه القراءات جاءت الدراسة كمحاولة للبحث في الهوية الافتراضية وكيفية تمثلها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، من خلال التساؤل الآتي:

– كيف يتمثل الوجود الافتراضي للشباب الجزائري في ضوء مواصفات البيئة الرقمية؟

1– بناء المفاهيم:

1– 1 مفهوم التمثلات:

عرفها "**سرج موسكوفيتشي:** طريقة لتفسير العالم والتفكير في واقعنا اليومي، وهو شكل من أشكال المعرفة الاجتماعية التي يبنيها الشخص بشكل واع انطلاقا بما هي عليه أو ما كانت عليه وما هو متوقع ويوجه سلوكاتها، في المقابل التمثلات الاجتماعية هي النشاط الذهني الذي ينشره الأفراد والجماعات لإصلاح مواقفهم فيما يتعلق بالأوضاع والأحداث والأشياء والاتصالات التي تهمهم"[(1)].

جوهر المعرفة لاعتقاداتنا الدينية، ولأيديولوجياتنا السياسية والاجتماعية، ولنظمنا الخلقية ولنظرياتنا العلمية المشتركة والمحددة في ضوء الأطر الاجتماعية المحيطة بنا[(2)].

دوركايم Émile Durkheim:" التمثلات الاجتماعية هي ظواهر تتميز عن باقي الظواهر في الطبيعة بسبب ميزاتها الخاصة، فهي لها أسباب وهي بدورها أسباب، هي بقايا لحياتنا الماضية، أنها عادات مكتسبة، أحكام مسبقة، ميول تحركنا دون أن نعي، وبكلمة واحدة إنها كل ما يشكل سماتنا"[(3)]، إن مفهوم التمثلات الاجتماعية يعني الطرق المشتركة للإدراك والفهم والتي تختلف عن التمثلات الفردية، هنا يستند دوركايم إلى خصائص الظاهرة الاجتماعية، التي يشترك في إنتاجها الأفراد وتصبح فيما بعد قمعية وإلزامية (الضمير الجمعي) على الجميع، فهي إنتاج وعي يسمح للأفراد بالعيش وإعطاء معنى مشترك لوجودهم[(4)].

1–2– مفهوم المجتمعات الافتراضية:

ظهرت المجتمعات الافتراضية بفعل احتياجات التعليم واستخدام تكنولوجيات الحاسوب والاتصالات الرقمية منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي، ثم انبثقت عنها بعد ذلك ما عرف بالمجتمعات الشبكية تقريبا أوائل التسعينيات حيث تطورت في شكل جماعات معروفة من مستخدمي الانترنت تشترك في الخصائص والاحتياجات والمهارات، ثم انتشرت هذه المجتمعات الرقمية بانتشار تكنولوجيا الويب[(5)].

كما استخدم محمد محي الدين مفهوم المجتمعات المتخلية "الافتراضية" بوصفها استعارة تشير إلى تلك الأنماط المتمفصلة من العلاقات والأدوار والمعايير والنظم واللغات التي تُطوَّر بوساطة الأفراد خلال عمليات الاتصال المباشر على الخط[(6)].

1-3 مفهوم الهوية:

يعد مفهوم الهوية من المفاهيم التي أخذت حيزا كبيرا من تفكير الباحثين، ومصطلح الهوية له دلالاته اللغوية والفلسفية والاجتماعية.

الهوية في اللغة العربية مصدر مركب من ضمير الغائب "هو" المعرف بأداة التعريف "أل" ومن اللاحقة المتمثلة في الياء المشددة وعلامة التأنيث وهي تأتي بمعنى ذات الشيء وعند الفارابي هوية الشيء عينه وشخصه وخصوصية وجوده المتفرد الذي لا يقع فيه إشراك(7).

يرى أنتوني غدنز في كتابه علم الاجتماع أن" مفهوم الهوية متعدد الجوانب، فالهوية بشكل عام تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم، ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم،و يتشكل هذا الفهم من خصائص محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها من مصادر المعنى والدلالة ومن مصادر الهوية هذه: الجنوسة والتوجه الجنسي... ويتحدث علماء الاجتماع عن نوعين من الهوية هما: الهوية الاجتماعية والهوية الذاتية (الشخصية)... ومن الأمثلة على الهوية الاجتماعية:الطالب، الأم، المحامي، فقد يكون الفرد أما مهندسة ومسلمة في نفس الوقت وعضوا في المجلس البلدي، ويعكس تعدد الهويات الاجتماعية أبعادا عديدة من حياة الناس"(8).

1-4 مفهوم الهوية الافتراضية:

كما يسميها البعض الهوية الرقمية، يعرفها اتزشادEtzscheid بأنها" مجموع الآثار المكتوبة أو المحتويات السمعية أو البصرية أو رسائلنا في المنتديات أو علاقاتنا المتبادلة في المواقع المخصصة لذلك"، فالأنترناتيون إذن يظهرون وجودهم (الافتراضي) من خلال علامات نصية، صوتية وبصرية، فإذا كانت الهوية الواقعية تستمد معناها من الوعي بالذات والتميز الفردي عن الآخرين، فإن الهوية الافتراضية تحدد من خلال عنوان البريد الالكتروني أو الاسم المستعار أو الصورة الرمزية التي يقدمها الانترناتي وغيرها من الأشياء التي قد لا تعكس هويته الحقيقية أو لا تقدم القدر الكافي من المعلومات لمعرفة حقيقته(9).

وحسب موسوعة الويب wekipedia تعرف الهوية الافتراضية Virtual identity بأنها الشخصية التي يتم إنشاؤها من طرف المستخدم الإنسان الذي يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعي والشخص الظاهري للمستخدمين(10).

و يمكن القول إن الهوية الافتراضية هي مجموع الصفات والرموز والبيانات التي يستخدمها الأفراد في تقديم أنفسهم للآخرين في المجتمعات الافتراضية ويتفاعلون معهم من خلالها(11).

2- ديناميكية الهوية الافتراضية:

الهوية الافتراضية هي وليدة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي أو بالأحرى انضمام الفرد إلى المجتمع الافتراضي والذي يفرض عليه أن يقدم بيانات هوية يتواصل بها مع الآخرين ويتفاعل بها مع مختلف الجنسيات والأعراق والديانات(12)، فتعد مظهرا من مظاهر العالم الرقمي والتجارة الإلكترونية، والبريد الإلكتروني، والشبكات الاجتماعية، والعوالم الافتراضية، حيث لم تعد مرتبطة في العصر الرقمي بجهود ثابتة، وحبيسة الأشكال المادية، مثل رخص القيادة أو جوازات السفر مثلا، بل أنشأت العوالم الافتراضية والشبكات الاجتماعية مواطن للتفاعل بين الأفراد في النوع والطبيعة، في الشخصية والعلاقة مع الآخرين، أصبحت هذه الأخيرة أكثر مرونةً واستبدالاً في علاقتها بالعالم الحقيقي، وعلى هذا الأساس ظهرت هذه الهويات الجديدة محمولة على نحو متزايد ولها القدرة على

تجاوز أصولها والانتقال إلى الشبكات الاجتماعية والعوالم الافتراضية الأخرى، وحتى صفحات الويب الأخرى، قد تختلف التسميات عن الهوية الافتراضية، وهذا الاختلاف لا يطرأ على مفهوم الهوية في حد ذاته باعتباره الشطر الأول من المفهوم الهوية الافتراضية، وإنَما في الفضاء أو البيئة التي توجد فيها تلك الهوية باعتباره يمثل الشطر الثاني من المفهوم، وتعود هذه الإشكالية في عدم التفريق في كل ما هو افتراضي، والكتروني، ورقمي، أو فضاء الانترنت، وإن كانت جميع تلك المفاهيم تشكل مفهوما واحدا للهوية الافتراضية، وهذه الأخيرة تعرف حسب ما ورد في الموسوعة الإلكترونية العالمية الحرة باللغة الفرنسية بأنها علاقة الرابط التكنولوجي بين الكيان الحقيقي لشخص أو منظمة أو شركة والكيانات الافتراضية أي ما يمثل تلك الكيانات الحقيقية رقميا[13].

يتم تقديم تمثل الهوية الرقمية كمجموعة من عمليات النقل البيانية الصوتية والتمثلات البصرية في الفكر وظيفتها التقنية هي تحديد وربط الفرد بالمجتمع، فالتمثل الذاتي يتكون من علامات ملحوظة على الشاشة التي تظهر للمستخدم ويتم عرض ترتيبه السيميائي في ما يلي: يتكون من واصل يحدد للمستخدم المرتبط به العناصر التي تشير إلى شخصيته، ونظام التمثل الذاتي ليس سوى جزء من الهوية الرقمية التي هي نسيج يضم كل من علامات الفرد والعلامات التي يقيمها الجهاز، هي مظهر من مظاهر التأثير الثقافي[14].

تمثل الأفراد الافتراضيين أتاح للفرد إطارا كبيرا واسعا يحوي أطراً فرعية كثيرة، فهناك الإطار الفردي للشخصية وهناك إطار الجماعة أو المجتمع الافتراضي الذي ينتمي إليه، والإطار الثقافي الطبيعي الذي ينطلق منه الفرد الافتراضي إضافة إلى الجانب الأوسع الكوني الجديد الذي يمكن للفرد الافتراضي من التحرر، وينطلق بكل إمكاناته وطاقاته التمثلية الرقمية ولكل من هذه الأطر خواص تحدد هوية خاصة بالفرد الافتراضي، كما أن أي من هذه الأطر يمكن تزييفها وتغييرها من قبل الفرد نفسه أو من طرف اختراق خارجي عن إرادة الفرد المعني[15].

وما يلفت الانتباه في التواصل الافتراضي التحرر من ضوابط الألفة والمعايير الاجتماعية الرسمية، وعدم الالتزام بمقامات التواصل التقليدية، قد يختزل التعارف في بداياته بين هويتين نكرتين، يكون المقال وصاحبه منسلخين عن المقام Decontextualisés لتحسين الهوية باستمرار وفق صياغات غير ثابتة لحاجة في نفس صاحبها[16].

يقول محمد رحومة " فإن الفرد قادر أن يتمثل كيفما يشاء، وكيفما توفر له التقنية المستخدمة من إمكانيات التمثل، وهو دائما ليس هو إلا بما يقدم نفسه للآخرين، فقد يغير أو يكيف بياناته الشخصية أو يزيفها على كل المستويات"[17].

يقوم الأفراد المشكلون للمجتمع الافتراضي ببناء هوية افتراضية (الكترونية) خاصة، تكون في بعض الأحيان مطابقة للواقع وفي أحيان كثيرة مزيفة ومستعارة، ويقصد هنا بالهوية الافتراضية مجموعة المعلومات الشخصية التي تكون الذات (الالكترونية)، كالاسم، السن، الجنس، وطريقة الإمضاء، إلى غير ذلك من البيانات التي يقدمها المدردشون على أساس أنها تعكس شخصيتهم وهويتهم الحقيقية، ونظرا لغياب الوجود أو الحضور الفيزيائي فإن غالبية المدردشين يقدمون أنفسهم بشخصيات مستعارة وهويات غير حقيقية، من خلال الإدلاء ببيانات ليست صحيحة، حول أسمائهم، جنسهم، بلدهم إلى غير ذلك، ويعمل الأفراد على تغيير هوياتهم كما يحلو لهم، ويقومون بلعب أدوار مختلفة، وتقمص شخصيات عديدة، وتختلف دوافع القيام بهذا السلوك من شخص لآخر، فمنهم من يخشى أن تستغل معلوماته لأغراض معينة، وانتهاك خصوصيته، ومنهم من يريد التعرف على آراء الغير

وأحكامهم المختلفة حول تلك الشخصية التي اصطنعها وتقمصها ولذلك فإن هناك فرقا بين الصورة التي يقدمها المدردشون عن شخصيتهم وأنفسهم وبين الهوية الحقيقية في الواقع، فهم يستخدمون هويات تتغير من وضعية لأخرى ومن شخص لآخر، ولذلك فإن هذا الازدواج في الشخصية

يجعل الشخص الحقيقي في جهة والشخص المصطنع في جهة أخرى[18].

وفي هذا السياق، يمكن القول إن ظهور الأدوار الاجتماعية للأفراد في المجال الافتراضي تخضع إلى قواعد وطقوس معينة، وتنطلق من خلفية مسبقة بحيث يتوقع ما يحدث بشكل متفق عليه ضمنيا بين الأفراد المتفاعلين[19]، فكيان الفرد في الفضاء الافتراضي يتمثل من خلال الآثار الرقمية التي تخلفها عمليات التواصل، التي تبرز من خلال الرموز التجريدية التي تتنوع أشكالها باختلاف الشبكات الافتراضية المشتركة مثل: نعم/لا، الفتح/الغلق، الوصل والفصل، الإعجاب، المشاركة، التعليق... الخ[20].

يتمثل أفراد المجتمع الافتراضي في ثلاثة مظاهر:

- **المظهر الكتابي:** أو النص المكتوب وهو أكثرها استعمالا وأهمها على الإطلاق حيث إن نوعية الكتابة وطريقتها وطبيعة الجمل والكلمات المستخدمة والأسلوب الكتابي والرموز المستعملة كلها أمور تحدد شخصية الفرد، وطبيعته، وتمكننا حتى من التعرف عليها وعلى سماته الشخصية إلى حد ما.
- **المظهر الثاني يكون بالصور والرسومات:** وما يصطحبها من ألوان وخطوط وأشكال متنوعة، وصور شخصية وغيرها، وكل هذه الجزئيات المصاحبة للنص والصوت تلعب دورا كبيرا في بناء شخصية معينة، ذات سمات مختلفة من حين لأخر، ومن وضعية لأخرى، ورغم كون الصور المقدمة غير واقعية في الغالب، إلا أنها تكون هوية يعرف بها المدردشون في المجتمع الافتراضي في ظل غياب الحضور الجسمي أو الفيزيائي.
- **المظهر الصوتي:** قد يصحب مظهر النص أو مظهر الصورة والرسومات أو يكون مستقلا وحده، بحسب حاجة الاستخدام، وتفضيلات الشخصية أو الخيارات التقنية، ونادرا ما يتمثل الأفراد بالمظهر الصوتي لأنه أمر صعب وقليل الأهمية[21].

توفر شبكات التواصل للأفراد فرصة فريدة للتعبير عن الذات، والتي تشجع الناس على الكشف عن ذواتهم الحقيقية، بما في ذلك الجوانب التي لا يعبّر عنها بشكل مريح وجهًا لوجه. وبسبب هذا التأثير، يمكن النظر إلى التواصل عبر الانترنت على أنه أكثر حميمية وشخصية من الاتصال وجهًا لوجه ... وخلافًا لما يحدث في العالم الحقيقي، تكون هوية الفيسبوك ضمنية أكثر من كونها صريحة؛ يُظهر المستخدمون مشاعرهم بدلًا من أن يقولوها، من خلال تأكيد ما يحبونه وما يكرهونه بدلًا من التوسع في سرد سيرة حياتهم، واستراتيجياتهم والسبل التي يستخدمونها للتعامل مع المشكلات وخيبات الأمل، وجميع الأمتعة الأخرى للحياة الطبيعية[22].

تنسج الهوية الافتراضية من خلال عملية الجمع بين مجموع الرموز التي اكتسبها الفاعل ومجموع الرموز التي يتوفر منها الجهاز والتي تكون انعكاساً مباشرا للمؤثرات الثقافية التي هي عرضة لها، ويتجلى ذلك من خلال استخدام مجموع العناصر الرمزية القابلة للملاحظة على الشاشة والحاملة معاني معينة سواء كانت كلمات أو صورا أو مقاطع فيديو ذات أبعاد دلالية تساهم في التعبير عنها، حيث تنقسم الهوية الافتراضية إلى ثلاثة عناصر رمزية تعكس تمظهراتها في المجتمع الشبكي تبرز ملامحها، والتغيرات الحاصلة لها هي:

õ **الهوية التصريحية** (Identité déclarative)

تبرز من خلال المعلومات التي يجري إدخالها من قبل صاحب الحساب مثل الاسم، تاريخ الميلاد،الصورة...الخ

õ **الهوية النشطة** (Identité agissante)

تبرز من خلال التقارير الدورية للصفحة عن نشاطات المستخدم مثلاx وy أصبحا صديقين، انضمام إلى مجموعة جديدة..

õ **الهوية المحسوبة** (Identité calculé)

تبرز من خلال متغيرات عددية يعدها النظام Le Systeme وتعرض على الصفحة، توضح عدد الأصدقاء، عدد المجموعات، تواريخ مهمة توجهاتها في الفضاء الرقمي[23].

3- الواقعية الافتراضية والافتراضية الواقعية:

لقد أعطى الواقع الافتراضي للفرد حداثة مهمة جدا من خلال منحه القدرة على "التصرف الافتراضي" في عالم اصطناعي، عالم افتراضي بين الخيال والتكنولوجيا، بين الحلم والواقع ومن الواضح أن العديد من الألغاز تحيط هذا النظام الجديد الذي يتطور بسرعة استثنائية.

اللغز الأول الذي يدور حوله هو في مضمون الكلمة التي تجمع بين مصطلحين في الظاهر متعارضين في الواقع، لا يمكن اعتبار أن هذا الواقع الافتراضي في الآونة الأخيرة بفضل الزيادة الكبيرة في القوة الجوهرية لأجهزة الكمبيوتر، خاصة القدرة على إنشاء صور بواسطة الكمبيوتر في الوقت الفعلي والسماح بالتفاعل دائماً في الوقت الفعلي بين المستخدم والعالم الظاهري، ومع ذلك نلاحظ أنه في أساس الواقع الافتراضي، فإن التطورات التقنية هي التي سمحت لها أن تزدهر، وبالتالي تقيد نطاقه في الواقع إلى القيود الكامنة في تقنية، الواقع الافتراضي لم يولد بشكل عفوي منذ خمسة عشر عاما، لكن مثل أي تكنولوجيا كان له سابقون لم يطلقوا عليه بالطبع "الواقع الافتراضي"، هناك عدة أنواع من التطبيقات التي تسمح للشخص بالتصرف في بيئة افتراضية، خاصة في محاكيات النقل، والتي سمحت للأفراد بالتفاعل مع بيئة افتراضية جزئية، وهذا لمدة 50 عاماً تقريباً[24].

يقوم الأفراد الذين يستخدمون منتديات المحادثة والنقاش الالكتروني بإقامة روابط فيما بينهم، ويتجمعون في جماعات مختلفة، كل واحدة لها اهتماماتها الخاصة بها وميزاتها وتتميز هذه الجماعات بديناميكية من حيث تغير عدد أعضائها، وطريقة تكونها أو تبددها، وهي تقريبا تشبه الجماعات الحقيقية في حياتنا الواقعية إلى حد بعيد، فهناك عدة خصائص وميزات مشتركة بينهما، ولهذا قام عدة باحثين في علم النفس وعلم الاجتماع، بدراسة هذه الجماعات وتناولوها بشكل مستفيض، من حيث الخصائص وطرق التشكل وأنماط التفاعل بين أفرادها، وطرق اتصالهم فيما بينهم، كما درسوا الخصائص النفسية لأفرادها وانعكاس كل ذلك على حياتهم الحقيقية، وقد اتفق معظم هؤلاء الدارسين بتسمية هذه الجماعات بالمجتمعات الافتراضية وتوجد على شبكة الانترنت عدة أنواع من هذه الجماعات، سواء من حيث موضوعات اهتماماتها، أو من حيث طبيعة الأشخاص المنتمين إليها وطبيعة نشاطاتهم، أو من حيث الخدمة التي يستعملونها في الشبكة، وكما قلنا من قبل هناك عدة خصائص تشترك فيها هذه المجتمعات مع المجتمعات الحقيقية، كما توجد كذلك سمات خاصة بها فقط وتميزها عن الجماعات الواقعية، وكما يقول Bertini فإن "الشبكات الافتراضية تقوم بنسج خيوط المجتمع الجديد"[25].

وتحديد ملامحه بشكل يجعله يختلف ويتميز عن المجتمع الكلاسيكي، فشبكة الانترنت أنشأت مجتمعات موازية يتم فيها إحداث أشكال وأنماط جديدة للتعبير، وإنشاء علاقات اجتماعية لا يمكن أن تخلق في وضعيات أخرى، أي أن هذه الأنماط الخاصة بالتعبير الاتصال والعلاقات فريدة ومتميزة ببعض الميزات التي لا نجدها في المجتمع الواقعي، أو في فضاء آخر من فضاءات الاتصال والتفاعل الاجتماعي[26].

تتميز المجتمعات الافتراضية بمجموعة خصائص ومميزات نذكر أهمها كما يلي:

– المرونة وانهيار فكرة الجماعة المرجعية بمعناها التقليدي، فالمجتمع الافتراضي لا يتحدد بالجغرافيا بل بالاهتمامات المشتركة التي تجمع معا أشخاصا لم يعرف كل منهم الآخر بالضرورة قبل الالتقاء الكترونيا.

– لا تقوم المجتمعات الافتراضية على الجبر أو الإلزام بل تقوم في مجملها على الاختيار.

– أنها فضاءات رحبة مفتوحة للتمرد والثورة، بداية من التمرد على الخجل والانطواء وانتهاء بالثورة على الأنظمة السياسية.

– تتميز هذه المجتمعات بالعالمية، أي يشارك فيها أفراد من كل أنحاء العالم.

– تتميز باستعمال أفرادها أسماء مستعارة وهويات مستعارة.

– يتميز أفرادها بعدم التجانس في بعض الجوانب، فقد يكون لكل شخص مستوى معين أو مهنة تختلف عن الآخرين.

– توفر فرصا أكبر لأعضائها للتفكير بحرية، وللتعبير عن كل المواضيع.

– يتميز أفرادها بالولاء والخضوع لقواعد ومعايير هذا المجتمع.

– تتميز هذه المجتمعات باستخدام رموز ولغة خاصة بها، وهي عبارة عن إشارات ورسوم تستخدم للتعبير عن الحالات النفسية للأفراد وعلى تلميحات الوجه[27].

– تتميز بأن لها قواعد سلوك خاصة، تلزم كل منخرط جديد أن يلتزم بها وأن يحترمها، وهي تتضمن عموما بعض المواد والقوانين التي تشرح للأفراد كيفية الاستخدام، وآداب التعامل مع المدردشين الآخرين وعدم إزعاجهم، إلى غير ذلك، وهي معروفة بتسمية الايتيكت .

– تتميز بوجود تواصل مشترك بين أعضاء كل الجماعة ووجود هدف موحد، وإحساس وروية وانتماء.

– تتميز بالانفتاح وسهولة الانضمام للجماعة، مقارنة بالجماعات الواقعية.

– أنها غير مستقرة وسريعة التغير.

– أنها متاحة للأفراد الذين يريدون المشاركة في أحد أنماطها، حيث يجدون من يتواصل معهم في المجتمعات الافتراضية على مدار الساعة واليوم.

ومن سمات المجتمعات الافتراضية نجد أيضا بالإضافة إلى الخصائص الآنفة الذكر:

– تتسم المجتمعات الافتراضية بدرجة عالية من اللامركزية وتنتهي بالتدريج إلى تفكيك مفهوم الهويّة التقليدي .ولا يقتصر تفكيك الهويّة على الهويّة الوطنيّة أو القومية بل يتجاوزها إلى الهويّة الشخصية، لأن من يرتادونها في أحيان كثيرة بأسماء مستعارة ووجوه ليست وجوههم، وبعضهم له أكثر من حساب.

– لم تعد حدود الجغرافيا تلعب دوراً في تشكيل المجتمعات الافتراضيّة، فهي مجتمعات لا تنام، يستطيع المرء أن يجد من يتواصل معه في المجتمعات الافتراضيّة على مدار الساعة[28].

ويعتقد أن المستخدمين الذين بإمكانهم التعبير عن أنفسهم عن طريق المواقع الاجتماعية أكثر مما يتيحه لهم الواقع هم الأكثر قدرة على بناء علاقات اجتماعية مقربة من خلال هذه المواقع، ويمكن تحديد نوعين من هؤلاء المستخدمين الذين لا يستطيعون تحقيق ذواتهم واكتشافها إلا عن طريق الانترنت، **النوع الأول** :هم الأشخاص الذين يحسون بقلق اجتماعي من خلال تواصلهم وجها لوجه، **والنوع الثاني** :هم الأشخاص الذي يشعرون بالوحدة، هؤلاء الأشخاص بإمكانهم تطوير علاقاتهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي بسرعة كبيرة ويمكن لهذه العلاقات أن تتحول علاقات اجتماعية حقيقية يكون التفاعل فيها وجها لوجه.

من خلال هذين الاتجاهين يمكننا الوصول إلى اتجاه وسط يدعم التفاعل عبر مواقع التواصل الاجتماعي من خلال المجتمع الافتراضي الذي تتيحه هذه الأخيرة، ولكن على أن يدرك المستخدم طبيعة الاستخدام الأمثل فيحافظ على التفاعل وجها لوجه مع محاولة دعمه وتطويره من خلال هذه المواقع بدلا من الانسحاب الكلي من الواقع مما يشكل مخاطر كبيرة على منظومة وعلى نمط العلاقات الاجتماعية[29].

خـــاتـمـة

يلاحظ المتتبع لآخر التطورات أن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت من أهم العوامل التي يقوم عليها التركيز في حياة الشباب الجزائري خاصة في وقتنا الحالي، وخصوصا بعدما احتلت الجزائر مرتبة متقدمة بين دول العالم من حيث زيادة عدد مستخدمي هذه المواقع بنحو 3.5 مليون مستخدم جديد سنة 2018 حسب التقرير السنوي الصادر عن منصة إدارة وسائل التواصل الاجتماعي "هوت سويت"، وأفاد نفس التقرير أن الجزائر شهدت نموا ملحوظا في استخدام الشبكات الاجتماعية حيث احتلت المرتبة 20 عالميا من حيث نمو مستخدمي الانترنيت، أي بارتفاع قدره 17% مقارنة بسنة 2017 والمرتبة 19 عالميا في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بارتفاع نسبته 10% [30]، إذا واقع مجتمعنا المعاصر المشتت بين الافتراضي والواقعي وبين ثنائية الشبكات والهوية، ينبئ بأزمات الإنسان المعاصر، في الواقع يعطي الجسم على الفور وجوداً للشخص، مما يسمح له بالتعبير عن نفسه في أعين الآخرين، وبالتالي بناء هويته بالتمييز، بينما على الشاشة يجب على الشخص أن يأخذ الوجود فإذا لم يتصرف ولم يترك آثاراً لنفسه، إنه غير مرئي لآخر. هذه الحاجة إلى ترك آثار هو تغيير جذري من نموذج الهوية، وثمة علاقة وطيدة بين ازدياد الإقبال على هذه القنوات وسرعة التغيير في المستويين الثقافي والروحي القيمي لديهم، وأولئك الذين يجهلون التاريخ جهلا تاما فقط، يمكن أن يعتقدوا أن القيم التي يحملونها بطيئة على التغيير، أو أن بإمكانهم قهر التكنولوجيا بهذه القيم، ذلك أن التكنولوجيا ليست مجرد آلات خرساء من المعدن والبلاستيك بل هي قبل كل شيء مجال ثقافي وأخلاقي يمتلك قدرة غير محدودة اليوم على الانتشار فإذا كانت مواقع التواصل الاجتماعي في الجزائر مازالت إلى حد الآن تثير ضجة إعلامية كبيرة، ذلك لأنها تمثل الطرق المستقبلية السريعة للمعلومة وتجسد عددا من التغيرات التي أحدثتها ومازالت تحدثها.

قائمة الهـوامـش:

1- Philippe de Carlos, Le savoir historique à l'épreuve des représentations sociales: l'exemple de la Préhistoire et de Cro-Magnon chez les élèves de cycle3, Thèse de doctorat en science d'éducation, École doctorale Droit et Sciences Humaines Cergy-Pontoise, France, 2015, p 36.

2– بشرى عناد مبارك، «التمثلات الاجتماعية وعلاقتها بالتوجه نحو السيادة الاجتماعية لدى المنتمين للأحزاب السياسية»، مجلة الفتح، جامعة ديالى، العراق، العدد 51، جوان 2012، ص 131.

3– Dictionnaire de sociologie, 2007, paris, édition albain michel, p 642.

4- Jean-Claude Abric, 1989, L'étude expérimentale des représentations sociales in Denise jodelet (dir), Les représentations sociales, PUF, Paris, p 188.

5- www.astf.net/sro/sro4/third%2520scop, 16/05/2017, 18:48.

6- محي الدين محمد، "المشكلات النظرية والمنهجية للبحث السوسيو- إثنوجرافي في المجتمعات المتخلية"، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، العدد 4، المجلد32، 2004.

7- محمد إبراهيم عيد، 2002، الهوية والقلق والإبداع، دار القاهرة للنشر، القاهرة، ص 17.

8- انظر انتوني غدنز، 2001، *علم الاجتماع*، مركز دراسات الوحدة العربية،الطبعة الرابعة، ترجمة فايز الصباغ، بيروت، ص 90-91.

9- غمشي الزهرة "الهوية الافتراضية بين الذات الأصيلة والذات الزائفة: قراءة في الاغتراب الذاتي للمتلاعبين بالهوية عبر الفضاءات الافتراضية"، مجلة باحثون، المغرب، العدد الأول، مارس 2017، ص 48.

10- http://www.wekepedia.com/TERM/V/virtual_identity.html, 20/04/2015, 23: 58.

11- انظر بايوسف مسعودة "الهوية الافتراضية: الخصائص والأبعاد: دراسة استكشافية على عينة من المشتركين في المجتمعات الافتراضية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ورقلة، الجزائر، العدد6، 2011، ص 395.

12- ريحانة بلوطي، دوافع استخدام الهوية الافتراضية في الشبكات الاجتماعية وأثرها على الفرد دراسة استكشافية لعينة من مستخدمي الفايسبوك نموذجا، رسالة ماجستير، قسم العلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2015، ص 21.

13- https://manifest.univ-ouargla.dz/documents/Archive/Archive%20Faculte%20des%20Sciences%20Sociales%20et%20Sciences%20Humaines/seminaire_26-27-11-2014/mokhtar.pdf,18/02/2018,12:02.

14- Ophélie Rraffin, la construction d'une identité virtuelle au sein d'un métavers: l'avatar dans second life, mémoire présenté comme exigence partielle de la maîtrise en communication, université du Québec, Canada, 2011, p 4.

15- انظر محمد علي رحومة، 2008، علم الاجتماع الآلي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 135.

16- الطاهر لبيب، الثقافة والمجتمع: تفكك اللغة وتعليق الدلالة، الفكر العربي المعاصر، بيروت، العدد 118-119، 2001، ص 22.

17- محمد علي رحومة، 2005، الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 283.

18- إبراهيم بعزيز، منتديات المحادثة والدردشة الالكترونية دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع، ماجستير، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 1 ، 2008، ص 81.

19- محمد علي رحومة، علم الاجتماع الآلي، مرجع سبق ذكره، ص 132.

20- http://www.caus.org.lb/PDF/EmagazineArticles/kalsom_kasom_33_34 ,15/05/2017, 15:15.

21- انظر محمد علي رحومة، الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية، مرجع سابق،ص ص294-295

22- http://www.saqya.com/%D8%B3%D9%88%D8%B2%D8%A7%D9%86-%D8%BA%D8%B1%D9%8A%D9%86%D9%81%D9%8A%D9%84%D8%AF%D8%8C-%D8%B9%D9%86-%D8%B4%D8%A8%D9%83%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC/,21/10/2018,17:42.

23- كلثوم بيبيمون السياقات الثقافيةّ الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعية، إضافات، جامعة باتنة الجزائر، العدد33، 2016، ص 2.

24- C.f Nisrine Zammar Réseaux Sociaux numériques: essai de catégorisation et cartographie des controverses: essai de catégorisation et cartographie des controverses. Sociologie. Université Rennes 2, 2012. Ecole Doctorale – Sciences Humaines et Sociales, p 135.

25- Bertini marie Josèphe1998, les opérations culturelles en réseaux , n.g , l.t. communication société et Internet, harmattan, paris, p 376.

26- إبراهيم بعزيز، مرجع سابق، ص 72.

27- ريحانة بلوطي، مرجع سابق، ص 83.

28- نفس المرجع، ص 84.

29- نوال بركات، انعكاسات استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على نمط العلاقات الاجتماعية، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم الاجتماعية، بسكرة، 2016، ص 278.

30- http://www.elbilad.net/flash/detail?titre=دراسة-أجنبية-الجزائرين-من-بين-أكثر-الشعوب-إستخداما-لمواقع-التواصل-الإجتماعي&id=58928, 21/01/2019, 00:51.